

قانونية التفاعل التداولي في رواية (حديث الصباح والمساء) لـ (نجيب محفوظ)

–حرف العين أنموذجاً–

**The Legality of Deliberative Interaction in the Novel of the Morning and Evening Hadith of Naguib Mahfouz - the letter of the eye as a model-**

**Dr. Mahabad Hashim**

د. مهاباد هاشم إبراهيم

**Ibrahim**

أستاذ مساعد

**Assistant professor**

**Shang Mohammed Adeb**

شه نك محمد أديب محمد رؤوف

**M. Raouf**

مدرس مساعد

**Assistant teacher**

**Salahaddin University**

جامعة صلاح الدين / أربيل – قسم

**College of Education/**

اللغة العربية

**Arbil- Department of**

**Arabic Language**

**mahabad.ibrahim@su.edu.krd**

**Shang.m.raouf@su.edu.krd**

تاريخ القبول

تاريخ الاستلام

٢٠٢٢/١٠/١٧

٢٠٢٢/٩/١٣

الكلمات المفتاحية: التفاعل التداولي، التضمين، مبدأ الاختلاف، الحوار، التأويل.

**Keywords: deliberative interaction, implication, the principle of difference, dialogue, interpretation.**

**الملخص**

يتناول البحث الموسوم بـ (قانونية التفاعل التداولي في رواية حديث الصباح والمساء لنجيب محفوظ- حرف العين أنموذجاً-) أهم المفاهيم التي استثمرتها التداولية في تحليل الخطاب في سياقاتها المختلفة من مثل الأفعال الكلامية والقصدية والفعل الإنجازي والقوة الإنجازية والسياق ومتضمنات القول من الافتراض المسبق والأقوال المضمرة، وقد تم الاعتماد على الآليات التداولية في تحليل نصوص الرواية، فضلاً عن ورود أنموذجات تطبيقية لتوضيح المفاهيم، ويزداد على ذلك مساعدة المتلقي على اكتساب مهارات التحليل التطبيقي من الوجهة التداولية، فضلاً عن بيان أهم العلاقات التي تسهم التداولية على القيام بها والتأكيد على وجود معارف مشتركة بين المتخاطبين التي تتحدد من خلالها طرق التواصل في الخطابات المختلفة على وفق استنتاجات التفاعل التداولي.

يستهل البحث مقدمة نظرية تضمنت قانونية التفاعل التداولي وأهميتها، تليها تمهيد يبحث في علاقة التداولية بالتفاعل، أما المبحث الأول فاشتمل على قانون التضمين في استعمال التفاعل التداولي بالاستناد على عمليتي الإنتاج والتأويل، في حين يتناول المبحث الثاني قانون الاختلاف في استعمال التفاعل التداولي وتفقه النتائج التي وصل إليها.

### Abstract

The research tagged with (The Legality of Deliberative Interaction in the Novel of the Morning and Evening Hadith of Naguib Mahfouz - the letter of the eye as a model-) deals with the most important concepts that deliberately invested in analyzing the discourse in its various contexts, such as verbal and intentional acts, the achievement act, the achievement power, the context, and the contents of saying from presupposition and implicit sayings. Deliberative mechanisms were relied on in analyzing the texts of the novel, as well as the arrival of applied models to clarify concepts and help the recipient acquire applied analysis skills from a pragmatic point of view, as well as clarifying the most important relationships that deliberative contribute to doing and emphasizing the existence of common knowledge between the interlocutors determined by Through which methods of communication in different discourses according to the conclusions of the deliberative interaction.

The research begins with a theoretical introduction dealing with the importance of the legality of deliberative interaction, followed by a preface that examines the relationship of deliberative interaction. Which the research has reached, the margins of the research and the abstract in English are recorded.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، وأما بعد:

مما لاشك فيه أن الخصائص التفاعلية تخلق سلوكاً حوارياً خاصاً قائماً بين المتكلم والمتلقي قصد التواصل وتبادل الأفكار، إلى جانب مبدأ الاختلاف الذي يعد الأساس لخلق أسباب الحوارات المختلفة داخل الرواية، والذي يبين مدى أهمية هذا الاختلاف في تحقيق الإبداع، إذ إن هناك قصدياً الأنا التي تعد مسؤولة عن اختلافات اللغة الفردية وانبثاق ألفاظ تسهم في بناء العلاقات الحوارية، وللحوار خصائص تواصلية ضمنية تنبني على مقتضيات التواصل الاستدلالية التي يمكنها فرز خصائص تفاعلية.

وقد يسهم السياق في رسم حدود الدلالة وتأطيرها، وتتحدد من خلاله الأفعال الكلامية على اختلافها، وقد ارتكزت التداولية عليه وعدها آلية من آليات التحليل فيها، وتبرز أهمية هذا البحث في أنه يتناول الحوارات في مختلف السياقات التي أسهمت في بنائها ونسجها على أساليبها بعينها، لذلك يتكون البحث من مقدمة تليها تمهيد يتناول علاقة التداولية بالتفاعل والخوض في أهم مفاهيم التداولية وآليات التحليل فيها.

جاء المبحث الأول بعنوان: قانون التضمين في استعمال التفاعل التداولي بالاستناد على عمليتي الإنتاج والتأويل والذي ركز على خاصية التضمين التي تعد آلية من آليات التحليل التداولي والتي تسهم في التفاعل الحواري بالتلميح والإيحاء والوصول من خلالها إلى المحاور المختلفة، في حين يتناول المبحث الثاني قانون الاختلاف في استعمال التفاعل التداولي الذي يعد عنصراً من عناصر التفاعل التواصلي داخل السياق والذي يبدأ من اختلاف اللغة الفردية للأفراد وينتهي بدوره على التأثير في نوعية العلاقة بين المتحاورين، ويختتم البحث بعرض أهم النتائج التي وصل إليها البحث إليها تليها هوامش البحث وملحق يبين النصوص التي تم الاعتماد عليها في التطبيق وملخص باللغة الإنكليزية.

## التمهيد: التداولية وعلاقتها بالتفاعل

التداولية مفهوم اكتمل نضجه على يد العالم الأمريكي (أوستن)، وذلك عند تقديمه نظرية إجرائية تناولت التداولية وتحليل الخطاب والتي تسمى بنظرية الأفعال الكلامية، إذ إنه أكد فيها على أن الملفوظات كلها تحمل وتخفي بعداً كلامياً، وشددت النظرية على تقديم مجموعة من الأفعال التي منها: (أفعال التعهد، وأفعال السلوك، وأفعال الإيضاح، وأفعال القرارات، وأفعال الأحكام)، ليكملها العالم سيرل بتقديم منهج إجرائي كامل يوضح فيه عناصر تحليل الخطاب والنص وقام بتطوير نظرية أفعال الكلام لأوستن واعتمد في منهجه على

الافتراض المسبق، واستلزام الحوار، والإشارات، فضلاً عن الأفعال الكلامية التي تتكون من (التوجيهات، والاختبارات، والتعبيرات، والإعلانات، والالتزامات)<sup>(١)</sup>.

تتهلت التداولية من مشارب متعددة تنوعت بين الفلسفة التحليلية، وعلم النفس المعرفي، واللسانيات، وعلوم التواصل، الأمر الذي جعلها على غرار المناهج النقدية واللسانية التي توفدت إلينا من الغرب، وتعنى بدراسة استعمال اللغة، فهي لاتدرس البنية اللغوية ذاتها، بل تدرس اللغة عند استعمالها، في الطبقات المقامية المتباينة

بوصفها كلاماً محدداً يصدر من متكلم محدد، وهذا الكلام موجه إلى مخاطب محدد في مقام تواصلية محدد لتحقيق غرض تواصلية محدد، الذي يبرز دور القصدية في هذه العملية التواصلية<sup>(٢)</sup>.

وبما أن التداولية ونظرية أفعال الكلام تقومان على دراسة اللغة على أساس أنها وسيلة لتواصل الأفراد وتفاعلهم فيما بينهم، فيمكن القول أن التداولية تحددت مجراها انطلاقاً من العلاقة بينها وبين نظرية أفعال الكلام، فكل ماتملكه البشر ينتج عن هذا التواصل<sup>(٣)</sup>، ومن مفاهيم التداولية التي تستثمر في تحليل النصوص والخطابات (الفعل الكلامي)، الذي يتكئ على تأويل النصوص والخطابات على أنها مجموعة من المتتاليات لأفعال الكلام، من مثل التهديد والوعد والاستفهام والطلب والأمر، وبذلك يصح القول على أن التداولية تقوم بتحويل تلك الموضوعات إلى أفعال كلامية لها علاقة وثيقة بالمقصود، إذ إن التعرف على مقصدية المتكلم يتم من خلالها على التعرف على الأفعال الكلامية المنجزة، فإذا قال متكلم ما: (هناك خطر يحدق بك)، فقد يكون قصده من الكلام التنبيه أو الإخبار أو ربما السخرية، وللوصول إلى معرفة قصد المتكلم يعتمد المتلقي على التأويل الذي تتحكم فيه مجموعة من المعطيات المقامية والسياقية واللغوية والعرفية والاجتماعية<sup>(٤)</sup>.

وقد لاحظ أوستين أن للفعل الكلامي ثلاثة خصائص منها إنه فعل دال وهنا يتم الاعتماد على السياق والمرجع لمنح الكلام معاني معينة، وإنه فعل إنجازي ينجز الأفعال

(١) التداولية امتداد شرعي للسيميائية، عبدالحكيم سحالة، جامعة بسكرة الجزائر، ٢٠٠٧م: ٤٢١.

(٢) التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥: ٢٦.

(٣) مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، هريبرت بركلي، ترجمة: قاسم مقداد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣: ١١٠-١١١.

(٤) التداولية عند العلماء العرب: ١٣٠-١٣٣.

الاجتماعية والأشياء بالكلمات فضلاً عن أنه فعل تأثيري يترك آثاراً معينة في الواقع، وهذا الفعل ناتج عن أقوال تحدث تأثيرات متباينة على سلوك الآخرين، وكل فعل كلامي يقوم على أساس القصدية التي تقوم على أسس تداولية درسها فلاسفة التحليل ثم توسع في تفريعها وتعميقها التداوليون حتى غدت شبكة من المفاهيم المترابطة<sup>(١)</sup>.

وفي التداولية ما يسمى بالقوة الإنجازية التي لها علاقة بالعرض من الكلام، والسياقات والظروف والمقامات، فالشدة أو الضعف اللذان عن طريقهما يتم عرض الغرض من الكلام في السياق نفسه من سياقات استعمال اللغة، وبالتالي تحدد قوة الفعل الإنجازي أو ضعفه؛ وذلك لوجود أغراض إنجازية متباينة بتباين الاستعمال، فعلى سبيل المثال الغرض من الطلب الإنجازي معرفة قوى إنجازية متعددة تمتد من الأمر وصولاً إلى التمني<sup>(٢)</sup>.

وما يوضح مفهوم القوة الإنجازية والغرض الإنجازي ماجاء في رواية حديث الصباح والمساء لنجيب محفوظ يذكر: "ولما شعر بأنه يمضي نحو النهاية قال لإبنه محمود: سأترك لك نصيحة هي أعلى من المال، اعتبر العزبة وطنك وهبها كل نقطة إخلاص في قلبك وحذار من الخطب والشعر"<sup>(٣)</sup>، فقد شكل النص فعلاً كلامياً كان موضوعه ومعناه المطالبة بالدفاع عن (عزبة) والإخلاص لها وعدّها وطناً له، والأفعال الإنجازية جاءت مباشرة في (اعتبر، و هبها) واسم الفعل (حذار) بمعنى (احذر) ، وكان الغرض الإنجازي منها (الطلب)، وبما أن الطلب كان مباشراً وصريحاً فكانت القوة الإنجازية لهذه الأفعال عالية .

ومن مفاهيم التداولية الأخرى التي تستثمر في تأطير الدلالة ورسم حدودها (السياق)، إذ يعد السياق البيئة اللغوية التي تحتوي على الوحدة اللغوية صيغة كانت أم تركيباً والذي يتحدد من خلال المقصدية من المعاني، والدارسون يقسمون السياق على قسمين: الأول: السياق اللغوي الذي يشتمل على الوحدة اللغوية التي تشتمل بدورها على عناصر لغوية مختلفة تسهم في الكشف عن معاني الكلمات والتراكيب، والثاني: السياق غير اللغوي أو ما يسمى بسياق الحال وهو الظروف الخارجة عن اللغة المتعلقة بالمقام ويشمل الظروف المحيطة بالحدث اللغوي جميعها<sup>(٤)</sup>.

(١) التداولية عند العلماء العرب: ٤٤ .

(٢) تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، محمد العبد، مجلة الفصول، العدد ٥، ٢٠٠٥ : ١٣٨-١٣٩.

(٣) حديث الصباح والمساء، نجيب محفوظ: ١٤٧، دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦

(٤) التداولية في البحث اللغوي والنقدي، بشرى البستاني، مؤسسة السياب للطباعة والنشر، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٢١ : ٢٤٩-٢٥٠.

وللمجتمعات لغات متداولة في حياتهم اليومية تؤكد تأثير السياق في كل مايقال فمن البديهي أن يكون للسياق تأثير فعال على كيفية تفسير مايعنيه الناس في سياق معين، ففي قول نجيب محفوظ: "ولكن أباه اختار له مدرسة المعلمين لامتيازها بالمجانبة، قائلاً لابنه المحبوب: المجانية في الطب متعذرة، والعين بصيرة واليد قصيرة"<sup>(١)</sup>.

ومن المفاهيم الأخرى للتداولية التي تعنى بها النصوص اللغوية المقصدية، فالمتكلم عادة لايتكلم مع غيره إلا إذا كان في كلامه قصد معين، وهذا القصد يكون ثابتاً لايتغير عنده، ولذلك يلجأ المتكلم إلى اتخاذ الوسائل المقامية والكلامية التي تعين السامع على إدراك مقصديته، وبما أن مراتب المتلقين في إدراك مقاصد خطابية متفاوتة تبعاً لتفاوت القدرات اللغوية والعقلية فإن تفسير المتلقين يكون متفاوتاً<sup>(٢)</sup>.

وقد استثمر أوستين مبدأ القصدية في دراسة الأفعال الكلامية، في حين قام تلميذه سيرل بالصنيع نفسه حينما اتخذ معياراً رئيساً لتصنيف القوى المتضمنة في الأقوال، وتوضح أهمية هذا المفهوم -القصدية- في المسافة بين القول والمقصد والطبقات المتعددة للمعنى بين معنى مباشر والفعل الذي ينجزه المتكلم في السياق، فالمتكلم لاينطق مايعنيه في المقامات كلها على نحو مباشر، بل تتوفر أفعال كلامية غير مباشرة بحاجة إلى تأويل المتلقي للوصول إلى مقصديته<sup>(٣)</sup>.

ففي الرواية "هل تعتقد حقاً أننا نستطيع تحمل أعباء الاستقلال؟" <sup>(٤)</sup>، ففي النص فعل إنجازي غير مباشر والذي دلت القوة الإنجازية له على الاستفهام ب (هل)، وكانت مقصدية المتكلم فيه (أن أعباء الاستقلال بحاجة إلى الصبر)، وهو طلب مهذب أدى فعلاً إنجازياً مباشراً .

وتعد متضمنات القول مفهوماً تداولياً إجرائياً، يقوم بالبحث في الجوانب الخطابية الضمنية، والعلاقات والقوانين الخفية التي تحكم ذلك الخطاب، من مثل السياق والمقام، الأمر الذي جعل متضمنات القول تحوي عنصرين رئيسيين هما الافتراض المسبق والأقول المضمرة.

(١) حديث الصباح والمساء: ١٢٨.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة-القاهرة، ٢٠٠٢ : ٨٩.

(٣) ستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤ : ٢٣.

(٤) حديث الصباح والمساء: ١٢٩.

لقد عد التداوليون الافتراض المسبق من العناصر الدلالية التي تخص القول، كما عدوه من الرموز اللغوية التي يحتويها الأقوال، ففي النشاطات اللغوية التواصلية ينطلق المخاطبون من افتراضات ومعطيات مسبقة متفق عليها، إذ تشكل هذه الافتراضات المرجعية التواصلية والخلفية الضرورية لنجاح عملية التواصل، والاستبانة عن المعاني المختلفة في الخطابات، فتكمن خصوصيتها على المخاطب ويفرض عليه إطاراً يجبره على الفعل لاستمرار الخطاب، والافتراضات المسبقة تتحد عادة من عناصر صوتية وصرفية وتركيبية ودلالية<sup>(١)</sup>.

في حين ترتبط الأقوال المضمرة بمقام الخطاب ووضعه، فضلاً عن ارتباطها بالسياقات المختلفة (الاجتماعية، والثقافية، والنفسية... إلخ)، التي تضمن تحقق الخطاب في الواقع، وتكون الأقوال المضمرة عبارة عن جملة من المعلومات التي يحتويها الخطاب، وتؤدي في النهاية إلى تعدد المعاني ويستشف من خلالها جملة من التأويلات، ويكمن الفرق بين الأقوال المضمرة والافتراضات المسبقة أن الأولى تكون وليدة السياق الكلامي، في حين تكون الثانية وليدة ملابسات الخطاب على أنها تعتمد التأويل بالدرجة الأساس<sup>(٢)</sup>.

وبذلك فإن الافتراضات المسبقة والأقوال المضمرة لها علاقة مباشرة بالمعاني الجانبية والسياقات العامة للخطاب، من خلال اعتمادها على القوانين الداخلية للخطاب، فضلاً عن أن المعلومات التي تحتويها تكون رهينة خصوصيات السياق في النصوص اللغوية المختلفة.

(١) التداولية عند العلماء العرب: ٣٠-٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٢.

## المبحث الأول

## قانون التضمن في استعمال التفاعل التداولي بالاستناد على عمليتي الإنتاج والتأويل .

تعد خاصية التضمن من آليات التداولية التي تسهم في التفاعل الحواري وتكون هذه الخاصية إما معجمياً مستقراً أو حوارياً متعلقاً بنسق الإيحاء والتلميح، ويكمن الفرق بين التضمن والاقتضاء في أن العلاقة التضمنية بين ملفوظين تعني أنه من المتناقض تأكيد الأول وإنكار الثاني، بينما العلاقة الاقتضائية بين خطابين ملفوظين تعني أن صدق الأخير شرط لصدق الثاني، ويكمن الدور التفاعلي للعلاقة الاقتضائية في إقناع المحاور بأقل تكلفة لسانية أي أن المتكلم يوجز المستوى اللساني ويقول الشيء دون أن يقوله، في حين تكمن قيمة التضمن الحواري في علاقته المرجعية بوقائع الحال من جهة ووصوله إلى المحاور من جهة أخرى، مما يتطلب الأمر الامتثال للمبادئ الرئيسة للحوار من طرف المتكلم لكي يرتبط التضمن بمرجعية صادقة ويكون واقع الحال الذي ليس مغلوطاً فضلاً عن امتثال المحاور للمضمون الذي آل إليه التضمن الحواري إما بالتصديق أو الإذعان وهذا يعني إشباع التضمن الحواري بسلوك موازٍ من طرف المحاور<sup>(١)</sup>.

يعد التأويل جزءاً مهماً في السياق التفاعلي، إذ إنه يمارس بصورة دائبة أثناء الحوار ويسهم في تطوير المضامين الحوارية بل أنه يعطي المضمون مكانة في سياق الحوار؛ ذلك أن العلامات في ذاتها وفي استقلال عن التأويل تظل فارغة من أي معنى، فالتأويل الذي يمارسه المحاور يسهم بكيفية جوهرية في إدخال هذا الأخير إلى السياق التفاعلي الحواري وبالتالي خلق التسلسل في إجراء الحوار<sup>(٢)</sup>.

إن ما يميز التحليل التداولي طبيعته الاستدلالية، أي أن المعنى في التداولية لا يمكن الوصول إليه إلاّ بالاعتماد على مؤشرات بنوية تدل على وجود معنى غير مصرح به، وهذا المعنى يمكن الوصول إليه عن طريق آليات تداولية، إذ إن المعاني الظاهرة لاتعطي الخطاب اكتفاءً دلاليًا، الأمر الذي يجعل من التأويل حاجة حتمية لإشباعه عن طريق معاني مضمرة، تسهم في تحقيق التواصل بين المتكلم والمتلقي<sup>(٣)</sup>، ففي الرواية "قال سرور بمرارة: إنهم يظنون عليك بالذكور، فتألم عمرو ولكنه قال مستوحياً طبيعته المتواضعة: رحم الله امرأاً

(١) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، محمد نظيف، أفريقيا الشرق، الأردن، ٢٠١٠ : ٤٥.

(٢) المصدر نفسه: ٤٣.

(٣) التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤ : ١٣٨-١٣٩.



عرف قدر نفسه، فقال سرور وهو يداري غضبه: أصبحت يا أخي درويشاً لا تغضب<sup>(١)</sup>، ففي النص معنى كامناً يتمثل في أنهم بخلوا عليه ولم يتزوجوا من بنات أخيه، فضلاً عن أن الإنسان لابد أن يعرف قدر نفسه، وأن يسعى إلى تمالك غضبه أثناء الغضب، لأن الغضب سبب لتمزق التآلف والتعاون بين الناس، والذي يؤدي إلى حرق السكينة والوقار في النفوس.

وفي موضع آخر: "أما أن يرغب ولد من آل داود في بنت من بنات عمرو أو سرور فانحراف خطير يجب أن يكبح بكل حزم، ودماثة أخلاق عمرو هونت عليه التسامح مع ذلك الموقف وتلمس الأعذار له، أما سرور فلم يعفه من لسانه الحاد الذي أبعد درجات عن قلوب آل المراكبي وآل داود جميعاً"<sup>(٢)</sup>، ففي النص تضمين مفاده وجود طبقة أرستقراطية ووجود فوارق طبقية داخل المجتمع في زمان الرواية فضلاً عن وجود تصنيف للأفراد بدليل أن دماثة أخلاق عمرو تسببت في تلمس الأعذار لطبقته التي كان فيها، في حين أن سرور لم يعفه لسانه الحاد من ذلك وتسبب في إبعاده عنهم.

فمعنى أن تؤدي اللغة وظيفتها في التواصل، هو أن أداؤه لمقصدية معينة، فضلاً عن أن التواصل وظيفة قصدية يقوم بأدائها المتواصلون، وبه صارت المقصدية شرطاً للتواصل<sup>(٣)</sup>.

إن الكفاية التداولية تتحرك بشكل قوي على مستوى تفكيك المحتويات الضمنية، وتتدخل بوصفها مقدمات، وتعمل على إتمام العناصر الناقصة في متواليات الخطاب، ولولا حضور تلك المقدمات المعرفية في ذهن المتكلم وافتراضه حضورها في ذهن المخاطب أيضاً لما أمكن للأول أن يضمن ملفوظه ذلك المعنى الضمني، ولا أمكن للمخاطب اكتشافه، ولمشئ الخطاب حق في الإضمار وحق متلقيه في التأويل، فحق الأول في الأخذ بسبيل التعبير الإضماري مشروط بالتثني عن خطي الالتباس والتعمية، وحق الثاني اللجوء إلى آلية التأويل مشروط بعدم التماهي إلى حد الهذيان لئلا يصبح كل ملفوظ قابلاً للانفتاح على فضاءات دلالية، لا ترسم قصد المشرع، ولئلا تتعدم قيمة المؤسسة اللغوية في التمييز بين المعاني<sup>(٤)</sup>.

ففي الرواية "ووفق عامر في حياته المهنية توفيقه في حياته الزوجية، فكان من أحب المعلمين إلى تلاميذه وأعظمهم تأثيراً فيهم، ومن القلة التي تعيش ذكراها مع الأجيال التي تربيتها حتى آخر العمر. وقد انتفع بذلك في زيادة إيراده بفضل الدروس الخصوصية، وفي

(١) حديث الصباح والمساء: ١٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٣.

(٣) التداوليات علم استعمال اللغة: ١٢٤.

(٤) اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، دار ومكتبة عدنان،

العراق-بغداد، ٢٠١٥ : ١٠٠-١٠١.

تذليل كثير من الصعوبات بفضل ذوي النفوذ من تلاميذه السابقين<sup>(١)</sup>، فالمقدمات المعرفية في هذا النص من مثل: التوفيق في الحياة المهنية من خلال بذل الجهد والمثابرة والبحث المتواصل في العلوم تجعل من الشخص إنساناً ناجحاً في عمله، وهذا النجاح يكون سبباً في ذياح الصيت وبقاء الذكرى الحسنة، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الإيراد بفضل الدروس الخصوصية، إذ إن الطلبة يلجأون دوماً إلى الأستاذ الذي اشتهر صيته في التدريس، لنجاحه في عملية التعليم والتعلم لقدرته على إيصال المعلومات، وبالتالي إعداد طلبة متفوقين ينالون النفوذ الأمر الذي يؤدي إلى تذليل الصعوبات، وقلة من المعلمين من ينال هذه المرتبة العالية في التعليم.

إن توليد المعاني الضمنية يرتكز بالدرجة الأساس على معطيات المقام وعلى طبيعة التعالق التخاطبي بين المتكلم والمخاطب أي أنها تتأتى من معطيات التداول اللساني، التي تدعو إلى الاحتكام إلى عنصر المناسبة من خلال ربط المقال بالمقام، حتى يتم فهم الملفوظ حق الفهم ويكشف عن معناه اعتماداً التضمين بوصفه وسيطاً سياقياً<sup>(٢)</sup>، فالمقام في النص الآتي: "عبدالعظيم داود يزيد الابن الوحيد الذي بقي من ذرية داود باشا وسنية الوراق، نشأ في بيت السيدة وتلقى تربية رفيعة من أو هانم وأب يعتبر من الرجال المعدودين في عصره، ومنذ صغره خالط أهله في الحي العتيق، وأحب بصفة خاصة ابن عمه عمرو، ولكنه خالط أيضاً نوعاً آخر من البشر هم الأجانب من أقران أبيه الذين تناولوا عشاءهم على مائدته وتبادلوا الأنخاب"<sup>(٣)</sup>، مقام رغد العيش، فقد كان سياق الموقف التواصلية يرتبط بالحالة الاجتماعية والبيئة التي كان يعيشها، ولذلك استغل المتكلم المقام لبيان مقصده وعمد إلى استخدام لغة خاصة تميزت بالمباشرة والوضوح، قوية في مفاهيمها وغنية بمصطلحاتها وأفكارها، وبالتالي جاءت لغة الخطاب مراعية لسياق الموقف التواصلية والمقام.

فالمعطيات الضمنية تقنية تخاطبية تواصلية يتم استثمارها من الخطاب التداولي من أجل استجلاء مقاصد المتكلم المضمرة؛ إذ إن الدلالة المضمرة أما تكون مقصودة للمتكلم فيها قصد يرغب في إرسالها أو تكون غير مقصودة تحملها الألفاظ من دون أن يكون للمتكلم القصد في إرسالها، وتكون المضمرة في التداولية قصدية يتوسل به المتكلم بوصفها آلية تواصلية<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث الصباح والمساء: ١٣٠.

(٢) اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني: ١٠٠-١٠١.

(٣) حديث الصباح والمساء: ١٣١.

(٤) الخطاب اللساني العربي-هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد)، بن عيسى عسو أزيبط، عالم الكتب الحديث، الإصدار الأول، إربد-الأردن، ٢٠١٢: ١/١٠٢.

وقد يعبر المتكلم عن مقصده صراحةً بوضوح فيه الهدف من خطابه للمتلقي، في حين قد يكون مقصده ضمناً خفياً لا يصرح به ويؤمى بالإشارة إليه، ففي الرواية: "كان عمرو يشعر بدفء الرابطة بينه وبين عبدالعظيم عندما يزوره هذا في بيت القاضي، أما إذا ذهب عمرو إلى فيلا السرايات فتواتيه غربة في الجو الإفرنجي الذي يسود السلوك والعادات، من ذلك أن عبدالعظيم باشا كان يفتح شهيته عادة بكأسين من الويسكي، أو يخاطب كريمته فهيمة وعفت أحياناً بالفرنسية، وكان محمود عطا المراكبي يتودد إلى الباشا ويحب أن يوثق علاقته به رغم المنافسة الخفية بين الأسرتين"<sup>(١)</sup>، فالقصد التواصل الصريح يتمثل في وجود علاقة قوية بين عمرو وعبدالعظيم، في حين عمد المتكلم إلى تضمين خطابه بمجموعة من الأفكار والمضامين الخفية من خلال لغة تداولية تهدف إلى تحقيق الإقناع، فقد أشار ضمناً إلى عدم شعور عمرو بالراحة وهو بين أناس طبقتهم الاجتماعية أعلى مرتبة من طبقتهم، والإشارة إلى عدم تحقق الإنسجام بين طبقات المجتمع المختلفة، فضلاً عن أن اختلاف السلوك والعادات تخلق نوعاً من انعدام الثقة بين أفراد المجتمع وإن اجتمعوا في مكان واحد وربطتهم أواصر مختلفة الأمر الذي جعل المقاصد الضمنية أشد وقعاً على المتلقي من المقاصد الصريحة.

وجاء أيضاً: "وما زال وراءه حتى أخرجه من جنته فكان ما كان فبدأ الخصام الذي قسم الأسرة العريقة إلى جبهتين متعاديتين، فانكر الأخ أخاه والأخت أختها وأبناء العم والخالة أبناء عمهم وخالتهم، وتحدى عدنان عمه فبصق هذا على وجهه، وتبادل عدنان وحسن الضرب في حديقة السراي، فأظلت الأسرة غمامة سوداء مازالت تحجب النور والدفء عنها حتى تلاشت عند احتضار أحمد بك"<sup>(٢)</sup>، فالمتكلم في هذا النص يشير إلى معانٍ ومضامين مضمرة يسعى إلى إيصالها وتميرها عبر مجموعة من الرسائل التي بثت في الخطاب، فضلاً عن أن القصد يتضمن أهدافاً يسعى المتكلم إلى تحقيقها من خلال الإخبار والمكاشفة، إذ إن الخصام كان سبباً في زرع التفرقة بين الأسرتين العريقتين واستمر هذا الخصام إلى أن أدى بالنهاية إلى التفرقة والبغضاء بينهما وأظلتها غمامة سوداء حجبت النور عنهما، فكان الغرض من هذا الخطاب التوعية وإحداث التغيير على مستوى الواقع السلوكي للأفراد ودعوتهم إلى ترك البغض واللجوء إلى الحلول السلمية في الخلافات المختلفة.

إن الوحدات التعبيرية تحتضن بداخلها سلسلة من القيم المودعة في مؤولات تقوم بتنظيمها فهي وحدات مضمونية لا تتحقق إلا عبر مسير دلالي خاص، الذي يولد هو الآخر فرعياً وهكذا، ذلك أن كل إمكان دلالي هو في واقع الأمر استعمال خاص للكلمة، ومن هذه

(١) حديث الصباح والمساء: ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٧.

الزاوية يمكن تصور الممكنات التأويلية التي يوفرها تصور هذا النوع، فالكلمات تنتفي، لكي تحل محلها السياقات التي قد تثيرها هذه الكلمة<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك في الرواية: "وفي أثناء ذلك رجع داود من فرنسا طبيياً، ثم تزوج من حفيدة الوراق وأقام في بيت السيدة وأنجب عبدالعظيم، وعلم عزيز أفندي ابنه عمرو وسرور فتعين عمرو في نظارة المعارف كما تعين سرور في السكك الحديدية، وتزوجت رشوانة من صادق بركات تاجر الدقيق بالخرنفس وزفت إليه في بيته بين القصرين، وتزوج عمرو من راضية كبرى بنات الشيخ معاوية كما تزوج سرور من زينب النجار"<sup>(٢)</sup>.

فالخطاب في النص كله إشارة إلى أن الحياة عرضة للتغيير والتجديد، فقد اعتمد الكاتب أسلوب الإخبار والإرشاد ضمناً، ومما يؤكد ذلك استخدامه للمفردات (رجع، تزوج، أقام، تعين.....) فالمتكلم يتوجه إلى المتلقي في خطابه ويشير ضمناً للمبادرات والمساعي وتضافر الجهود لتحقيق حياة رغيدة، وكان من إحدى أسباب هذا الرغد في العيش التعلم الذي أدى إلى أن يحصل كل من ولديه على عمله الخاص ومواصلة الحياة.

وفي ذلك تأكيد على أن مرجعيات المعنى لا تقتصر على المحيط المعرفي فحسب، بل يشمل كل ما اكتسبه المتكلم من معارف متنوعة، وبذل الجهد وعمل على تلك المعارف في مساحات الذاكرة، فتلك المعارف هي نتيجة المساحة التي استند عليها المتكلم في خزينه المعرفي، ويتم اللجوء إلى هذا الخزين المعرفي لتعزيز الحوار، وبذلك فإن المقاربة التداولية تقوم بصياغة جديدة للمعنى على وفق الافتراضات السابقة، التي بدورها تكون على نوعين الأول نجده في حياتنا اليومية والثاني نجده في الاستعمال الاصطلاحي الذي يكون مقيداً باستدلالات تداولية في ضمن تعبيرات لغوية معينة<sup>(٣)</sup>.

وفي الرواية ما يعزز اللجوء إلى الخزين المعرفي لتعزيز الحوار، وصياغة جديدة للمعنى على وفق الافتراضات المسبقة في قول الراوي: "ولكن لم ينعقد الخصام لحد القطيعة أو العداوة، وغلب دائماً هوى المودة القديمة الراسخة، أما ما بين الزوجين فقد مضى في عذوبة وسلام، وتسليم كلي من جانب عامر لإرادة محبوبته القوية فلم يرتفع له صوت غضب أكثر من مرات معدودات، ولم يبيتاً أبداً على خصام، وقد أنجبت له شاكراً وقدري وفايد، ولم تستطع أن تمد فوقهم مظلة سطوتها، فجرح شاكراً كبرياءها وحرك قدري مخاوفها وإشفاقها، ولكن

(١) المعنى خارج النص (أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)، فاطمة الشيدي، دار

نينوى، دمشق-سوريا، ٢٠١١ : ١٧.

(٢) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ٢٨.

(٣) التداولية عند علماء العرب: ٣٢.

ثلاثتهم كانوا أمثلة طيبة للنجابة والنجاح<sup>(١)</sup>، إذ إن وجود المودة ورسوخها جعلت أعمدة الحياة الزوجية بين الزوجين متينة وزرعت دعائم النظام الأسري المستقيم وكل ذلك ينبع من الطبع الكريم المنبثق من النشوء في المنابت الكريمة، فشكلت هذه الافتراضات المرجعية والخلفية التواصلية التي حققت النجاح في عملية التواصل.

ومن ذلك أيضاً: "وراح عطا يفكر بعقل مدبر لم يجد من قبل الفرصة المناسبة لاستغلال مواهبه. وشاور في أمره أهل الحق والعقد في تلك الشؤون من جيرانه الأغنياء واليهود المدربين"<sup>(٢)</sup>، إذ يتضمن النص أفعالاً ماضية يفترض أن يكون لها دور في التأثير على المتلقي باعتبار أن له القدرة على تأويل الخطاب والوصول إلى المعاني الضمنية للنص التي تؤكد أن وجود العقل المدبر يكون سبباً لاستغلال المواهب، فضلاً عن أن مشاوره الآخرين في الأمور الحياتية ومحاولة الاستفادة من آرائهم يعد وسيلة لصعود السلم بنجاح في الأمور المختلفة.

إن الكفاءة التواصلية بين المتكلم والمتلقي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنوع الأفراد، فإذا كان أغلبهم يمتلكون القدرة على إنتاج القول التي يستنتجونها من أنواع خطابية متنوعة ومختلفة، فذلك لا يعني قدرتهم جميعهم على تأدية بعض أنواع الخطاب، إذ إن نجاح التأويلات يعود إلى اكتساب الكفاءة اللسانية إلى جانب كفاءات أخرى حتى وإن اختلفت في محتواها، إلا أنها تشكل نسيجاً متشابكاً يسمح إلى الوصول في بعض الأحيان إلى ما هو ضمني من الأقوال<sup>(٣)</sup>.  
فالتضمينات تتحد من خلال لغة الخطاب والعناصر التي أسهمت في بنائه وتركيبه، والتي لها الدور الرئيس في نجاح عملية التواصل، والكشف عن المعاني الضمنية في الخطابات المختلفة، والتي بدورها تتحدد من خلال جملة من المعطيات المتعارفة بين منتج الخطاب ومستقبله.

(١) حديث الصباح والمساء: ١٤٤ .

(٢) المصدر نفسه: ١٤٦

(٣) قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، حمو الحاج ذهبيية، بحث منشور: ٢٢٢.

## المبحث الثاني

## قانون الاختلاف في استعمال التفاعل التداولي.

إن المقاربة التداولية قبل وقوفها على الاستعمال الحواري والتعدد السياقي والتضمين لا بد وأن تتبع العناصر المسؤولة كلها عن التفاعل التواصلي داخل الحوار، ويعد مبدأ الاختلاف أول مبدأ تداولي حوارى يبدأ من اختلاف اللغة الفردية عن لغة الآخر، وهو وجه تداولي للتعدد السنني في التواصل، وهذا الاختلاف أو التعدد السنني يشكل الحقيقة المؤسسة للحاجة إلى الحوار، بل أن اختلاف اللغات الفردية يمهد الطريق أمام الناس ويستجبه بينهم، وهذا الاختلاف في اللغة الفردية يستتبعه اختلاف في الرأي، وهو اختلاف أدعى للحوار، لأنه منشأ التصادم بين الآراء، كما ويعد من الأسباب التي تؤدي إلى احتدام الحوار وتطوره، لذلك فإن المسؤول عن الإبداع في المضامين الحوارية على وفق ما يقتضيه التبادل الحواري بين الأفراد هو مبدأ الاختلاف، وينتهي الاختلاف بالتأثير على نوعية العلاقة بين المتحاورين إذ إن العلاقة تنتقل من التساوي الذي هو سلوك حوارى مرآوي إلى الاختلاف الذي يخلق سلوكاً حوارياً مكملاً يجعل المتحاورين في علاقة يكملان بها بعضهما<sup>(١)</sup>.

تتمثل الحوارات في أشكال مختلفة على وفق الأطراف المشاركة فيها، فيمكن أن تكون هذه الحوارات ذاتية (أي مع الذات) تدور في خلجات النفس، كما يمكن أن تكون حوارات خارجية (حوار مع الآخر) والتي يمكن أن تجري مع شخص واحد أو أشخاص متعددة " فالحوار ينحو إذاً للإتصاف بقيمة أخلاقية، إذ إن الحوار يروم الابتعاد عن حقل القوى والمصالح وإن متعة الحوار ليست تلك التي تتأتى من الإجماع بل من الإثراء التي لا تنتهي"<sup>(٢)</sup>.

جاء في الرواية كانت نقيم في بيتها العتيق على الجانب المواجه لدكان المراكبي فهل كان للقصة تمهيد قديم لم يفطن إليه أحد؟ وقال القليوبي ليزيد: ستحدث أمور لا يمكن أن توافق هدى هانم على بقاء زوجها في دكانه...والحق أن الثروة كشفت عن مواهبه الكامنة وقوة شخصيته، كما هتكت حرصه وشحه وجشعه اللانهائي إلى الثراء<sup>(٣)</sup>، ففي النص حوار داخلي حدث في خلجات النفس تمثل في (فهل كان للقصة تمهيد قديم لم يفطن إليه أحد؟)، يمكن بواسطة هذا الحوار الكشف عن محتوى نفس المتكلم -الراوي- فضلاً عن وجود شخصيات متحاوره على لسان الراوي وكأنه حاول من خلال ذلك أن يوصل فكرة عن تلك

(١) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية: ٤٦-٤٧.

(٢) المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الدار

العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨: ٣٧.

(٣) حديث الصباح والمساء: ١٤٦.

المرحلة السياسية التي مرّ بها المجتمع آنذاك، وحاول الإشارة إليها ضمنياً تارةً من خلال الحوار الذاتي، وتارةً أخرى من خلال تضافر حوارات لشخصيات مختلفة.

و ورد أيضاً: "و ذات يوم قال لحكمت زوجته: لا أحب أن تبقي معي يوماً واحداً دون رغبة حقيقية.. فتجهمت دقيقة ثم قالت: إني راضية تماماً والحمد لله.. فالشك أخذ يساوره في مستقبل علاقته بزوجته، كما مضى يملك عليه تفكيره بالنسبة لمستقبل وطنه الذي يتزحج من مأزق إلى مأزق"<sup>(١)</sup>، فالنص يحتوي حواراً مع الذات اجتمعت فيه أنموذجات متعددة من مثل اللوم والعتاب، والخوف من المستقبل، فضلاً عن الحوار الوطني، ويعمل هذا النوع من الحوار الداخلي على مراجعة الأفكار وتصحيح المواقف بدليل قوله: (لا أحب أن تبقي معي يوماً واحداً دون رغبة حقيقية) وكان ذلك من خلال الاعتماد على خلجات النفس والإحساس الداخلي الذي أدى بالنهاية إلى رقابة الإنسان على نفسه وطريقة تفكيره أو محاوره الإنسان لبني جنسه الذين يلتقون معه في قدر كبير من المصالح المشتركة، الأمر الذي عمل على تفعيل النقد الذاتي البناء<sup>(٢)</sup>.

إن السياق الذي يشمل حواراً مختلفاً ذات لغة فردية تميزه عن سياق آخر، ولا بد من وجود خلفية حوارية يمكن أن تكون ذات أهمية كبيرة، وعن طريق الاستعانة بالتضمين يستطيع المتلقي الوصول إلى مقصدية المتكلم وبالتالي فإن الاختلاف الحوارية يكون مسؤولاً عن الإبداع على وفق ما اقتضتها التبادل الحوارية<sup>(٣)</sup>.

إن السلوك الحوارية المختلف لا يقتصر على نقل الخبر ولكن يحمل في الوقت نفسه على سلوك معين تكون إشارة لمسألة تأثير المضمون الحوارية في توصية المعتقدات، بحيث أن التبادل يهدف إلى تكييف معتقد أحد الأطراف بالشكل الذي يسير معه إلى أهداف محددة للطرف الآخر وهو الحمل على سلوك معين، فالتبادل الحوارية بصيغته التقابلية أو التكاملية المفضية إلى الإجماع أو التنازع أو التراضي يمر من جانبين، جانب المؤثرات التي تهم المضامين الحوارية وجانب الأوامر التي تهم تكييف السلوكيات والعلاقات مع ما تقتضيه تلك المضامين<sup>(٤)</sup>.

(١) حديث الصباح والمساء: ١٤٩.

(٢) تداولية الحوار في الخطاب القرآني (حوار أهل الكتاب أنموذجاً)، محمد زيان، اطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين، الجزائر، ٢٠١٨: ٥٥.

(٣) الخطاب الروائي، ميخائيل باخثين، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٧: ١٠٧.

(٤) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية: ٢١.

ففي الرواية: "أول هدية من عالم الغيب تغمر قلبي عمرو وراضية بالفرحة والرضا والفخر، وتؤكد الحقيقة التي يؤمن بها ميدان بيت القاضي وهي أن ليس الذكر كالأنثى، وجاء مشرقاً بوجه مليح، يقتبس ملاحظته من خير ما حظيت به راضية من استقامة الأنف وعلو الجبهة، وما ستعرف به سميرة فيما بعد من دقة القسمات وتناسقها، ومن أبيه أخذ هدوء الطبع والتقوى ونزعة القيادة والرعاية"<sup>(١)</sup>، إذ إن المضمون في النص والعلاقة بين الأحداث فيه يتحققان شكلاً من التفاعل بين المتكلم - الراوي - والمتلقي، والخلفية المعرفية للمتلقي تسهم بشكل فعال في بيان قصيدة المتكلم من أن مجيء مولود الذكر سبب في عم الفرح والسرور في قلبي عمرو وراضية، فضلاً عن أن في ذلك بيان للبيئة التي كانوا يعيشونها والتي فرضت عليهم معتقدات وعادات كانت سائدة بينهم حينها، الأمر الذي حقق التفاعل بين المتكلم والمتلقي.

هناك قوانين تتعلق بسلوك المتكلم، إذ إن المرء قد يسلك سلوكاً معيناً كي لا يفقد واجهته سواء تعلق الأمر بالواجهة الإيجابية أو السلبية، فيجب أن يحمي المتكلم نفسه من الهجومات الكلامية والإجابات النقدية، ويقضي قانون الحذر عدم طرح الأسئلة غير المرغوبة لتقادي التعقيدات، وضمن قانون اللياقة يحاول المتكلم تجنب الظواهر التخاطبية الأكثر كشفاً للمقاصد القابلة لأن تصدم الآخرين انطلاقاً من مضمونها الخاص أو من طريقة صياغتها<sup>(٢)</sup>، فنجد في الرواية: "فقال الرجل وهو يهز رأسه الكبير: المجانين لا يعرفون الاستقلال، الاستقلال مسؤولية ضخمة، من أين لنا الإنفاق على الدفاع؟!.. أليس الأفضل أن نترك ذلك للإنكليز ونتفرغ لإصلاح أحوالنا؟ فقال محمود بك بحرارة: صدقت، واستقلال زغلول خليك بأن يقود إلى ثورة عربية"<sup>(٣)</sup>، ففي النص تبدو الأحداث أكثر إثارة عندما تتعلق بالاستقلال، الذي يفرض على الإنسان الاحتفاظ باستقلاليتيه وممتلكات بلده وعرض أبناء ذلك البلد مهما كانت الظروف، وأن يبقى صامداً لا يتراجع عن قراراته بشأن الدفاع والاستقلال فضلاً عن عدم الإفراط في الفخر بالنفس لئلا يخرق قانون البساطة في التعبير.

إن الحوار الداخلي أسبق زمنياً عن الحوار الخارجي، ولكل حوار أسس تحكمه وتوجه مساره تبعاً للغرض الذي أقيم من أجله، والدواعي لتوظيفه وأبعاد تداولية جمالية، فضلاً عن أن الحوارات في مجملها تنضوي تحت قسمين الأول رئيسي والثاني فرعي، فالحوارات الرئيسية

(١) حديث الصباح والمساء: ١٢٦ .

(٢) قوانين الخطاب في التواصل الخطابي: ٢٢٧.

(٣) حديث الصباح والمساء: ١٣٣.



يحصرها الراوي في المتكلم الواحد ومتلق واحد هو قارئها المفترض<sup>(١)</sup>، فعلى سبيل المثال نجد في قول نجيب محفوظ: "وبدأ يخرج عن خط الأسرة السياسي فلم يتشيع للملك كأبيه وعمه، ولكنه انضم إلى الجيل القلق الغاضب على الجميع والمتطلع إلى الجديد مثل قريبه حكيم حسين قابيل، واقترحت عليه أمه الزواج من آل الماوردي وهم أسرة إقطاعية، فتزوج، واستأجر لعروسه شقة أنيقة في الزمالك"<sup>(٢)</sup>، حوار ضمنى يتوقع المتلقي أطرافه، ويستطيع تخيل محتواه، وشارك في أدائه نجيب محفوظ والحديث فيه "الترم بمبدأ التعاون المقترضى بتعاون كل من السامع والمتكلم على فهم المقصود على وفق السياق الوارد فيه؛ الشيء الذي يؤهلنا للقول أن هناك افتراضاً مسبقاً بينهما ساعدهما على تجاوز العائق المفهومي بالانتقال من السياق اللغوي الموضوعي إلى السياق الاستعمالي التواصلى الذي يعد شرطاً أساسياً في تحقيق التماسك العضوي للخطاب"<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله في موضع آخر: "غير أن ذلك الزواج لم ينجب ولم يوفق ولعل فائدته الوحيدة انحصرت في تعريفه بنفسه وأبعادها، تبين له أنه رغم يسره لا يطبق الإنفاق ويتألم لبذل قرش واحد في غير موضعه ودون حساب وتخطيط، وكانت جولستان من محبات البذخ والحياة الاجتماعية والتباهي بكافة جماليات المظاهر المبهرة، فعجز كل طرف عن النزوع عن شيء من تقاليده وعاداته، فارتطما في عنف جعل من حياتهما جحيماً لا يطاق، وقالت له الفتاة بصراحة: لم نخلق لحياة مشتركة، فقال لها: أوافق على ذلك دون قيد أو شرط"<sup>(٤)</sup>.

إن عدم نجابة الزواج وعدم توافق الزوجين أدى إلى حدوث نوع من التناقض في النص من خلال المقارنة بين حياة الزوجين في البدايات واختلافهما وعدم توافقهما في النهايات الذي أدى بالنهاية إلى انفصالهما، ويعد هذا التناقض خرقاً لقاعدة التناسب والتطابق في النصوص، وزاد هذا التناقض استخدام نجيب محفوظ لأفعال جازمة: (لم ينجب، ولم يوفق، ولم نخلق)، وفي ذلك بيان إلى استخدام الكاتب استراتيجية صريحة في عرض الأفكار والأحداث واستراتيجية ضمنية غير صريحة تمثلت في أن التوافق والانسجام لا يتأتيان من الفراغ بين الأشخاص إلا إذا كانوا يملكون طبيعة الانسجام والتوافق في أصل أطباعهم، وهذا الأصل

(١) تداولية الحوار في حديث عيسى بن هشام للمويلحي (حديث الافتراء على الوطن أنموذجاً)، أمينة سعد جلال، بحث منشور، مجلة المدونة، المجلد: ٨، العدد: ٣، سبتمبر ٢٠٢١: ٢٨٩٧-٢٨٩٩.

(٢) حديث الصباح والمساء: ١٣٤-١٣٥.

(٣) تداولية الحوار في حديث عيسى بن هشام للمويلحي (حديث الافتراء على الوطن أنموذجاً): ٢٨٩٩.

(٤) حديث الصباح والمساء: ١٣٥.

تورثه الأفراد من البيئة التي عاشوها في السابق والتي تؤثر بشكل كبير على أفعالهم ومدى تقبلهم الحياة الجديدة ومن ضمنها العادات والتقاليد الجديدة.

وجاء في الرواية: "لم يكن يحزنه في تلك الأيام السعيدة سوى عشرة أخيه وتضاعف حزنه حين تقرر إرساله إلى فرنسا، وسأل صديقه الشيخ معاوية الذي حل محل أبيه في الأزهر بعد تقاعد الرجل لكبره: ما ذنب داود يا شيخ معاوية؟ فأجاب الشاب: ليس كل علوم الكفار بكفر ولا الإقامة في بلاد الكفار وليحفظه الله، ودخل عزيز في فرن المراهقة، وتسلسل إليه رغم تقواه الخطأ فقال يزيد لفرجة: علينا أن نزوجه.. فقالت فرجة: نعمة بنت صديقك عطا مليحة ومناسبة.. وزفت إليه البنت في بيت أبيه بالغورية"<sup>(١)</sup>، إذ نجد أن نجيب محفوظ يستجد بوسائل غرضها التأثير في المتلقي من خلال تضافر أساليب الجزم: (لم يكن)، و الاستفهام: (ما ذنب)، والنفي (ليس)، هادفاً من وراء ذلك إذعان المتلقي وإخضاعه لرغبته ليوافقه الرأي، ودعم حوار الاستدلالات الذهنية لخدمة السياق والالتزام بقاعدة مقتضى الحال التي استوجبت مناسبة المقال للمقام الذي ورد فيه، مما يحدث توافقاً مع مبدأ الاختلاف الحوارية في التداولية. إن السلوك الحوارية ينطلق من مفهوم التبادل الكلامي، الذي هو الوحدة الحوارية الدنيا التي تمكن ممثلي الخطاب من المشاركة في الحوار على وفق الدور التلفظي لأطرافه، ولن تتم عملية التبادل إلا بتفعيل مضمون حوارية بين طرفي العلاقة الحوارية، إذ إن جهة الإنتاج والتوجيه وجهة الجواب والاستماع، والتي تعد سلوكيات حوارية مؤسسة للتفاعل التواصلي بين أطراف الحوار، وتفعيل المضمون الحوارية من وجهة النظر السايكولوجية يكون بين شخصين، إذ إن الإجراء الذي تكون فيه الدلالة التي يربطها المتكلم بالأصوات هي نفسها التي يربطها متلق بتلك الأصوات"<sup>(٢)</sup>.

ففي الرواية: "وقامت ثورة يوليو وتعاقبت الهزائم ثم هلّ النصر والسلام وتجمعت سحب الفتن والجريمة، وهي لائذة بحصن المتفرج لايعنيها شيء إلا بقدر أثره المباشر على أسرتها أو أبنائها، وتقدم بها العمر وهدأت نوازع كبريائها ونعمت رغم جريان الأحداث برفقة حبيب العمر والأبناء والأحفاد، حتى غاب عامر عن دنياها في غمضة عين وهو يحادثها، ومن ثم استقبلت حياة صامته تعلوها كآبة دائمة.."<sup>(٣)</sup>، إذ عمد نجيب محفوظ في هذا النص على تفعيل المضمون الحوارية بين طرفي العلاقة الحوارية من خلال الاستعانة بالتناقضات المختلفة، ففي المشهد التواصلي الحوارية للأحداث محاولة للمتكلم التسليح بأدوات إقناعية

(١) حديث الصباح والمساء: ١٤٠ .

(٢) الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية: ٢٢-٢٣.

(٣) حديث الصباح والمساء: ١٤٤ .

أكثر تأثيراً على المتلقي، وبالتالي القدرة على تحقيق قاعدة توجيه الحوار نحو الإنجاز بمقتضى أن الحوارات كلها ينتظر منها تفاعل ورد فعل، الأمر الذي أدى إلى استقرار عنصر التفاعل على مدار رواية الأحداث، إذ إن الهزائم تعاقبت ثورة يوليو، وبعدها هلّ النصر والسلام، ومن ثم شب نار الفتنة والجريمة، وتقدم العمر وموت عامر وفي النهاية حياة صامته مليئة بالكآبة، وفي كل ذلك جبر المتلقي على ملامسة الواقع المأساوي الذي عاشه المجتمع آنذاك.

وفي موضع آخر: "ولم تغز وجدانه من مدخل وطني لكن من زاوية أملاكه وأمواله، فلما صعدت موجتها حتى ظن لها النصر المبين أعلن تأييده لها، وتبرع بشيء من المال طاوياً آلامه في صدره، ولما تكالبت عليها القوى المعادية ولاح فشلها في الأفق أعلن ولاءه للخديوي، وجاء عصر الاحتلال البريطاني فساوره القلق مرة أخرى من تلك الأحداث التي لا يدري ماعقبها على أرضه، وقال له نسيبه بكري العرشي: لن يغادر الإنكليز هذا القطر ولن نخرج ماحيينا من الإمبراطورية البريطانية"<sup>(١)</sup>، ففي النص حوار جرى في باطن الشخصية يؤكد الوضع المتأزم حينذاك في مصر، والذي شاركته معظم البلدان العربية، فكان وضعاً منحطاً من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية جميعها، وقد أدى الأسلوب الحوارى إلى انصهار (الأنا) مع (الأخر) الذي غزاها، وبيان عدم قدرة تلك الأنا على تحقيق الاستقلال لها، فأراد الراوى أن تكون هذه الأنا وسيلة فاعلة للإبلاغ عن الحالة التي كان الشعب يعيشها، ويعد هذا الأسلوب وسيلة من وسائل الحوار التي استند إليها السرد، وبذلك كان كل ذلك إسهاماً تواصلياً سعى الراوى من خلاله تسجيل عناصر التفاعل الحوارى وتفعيلها.

فكان السلوك الحوارى القائم على مبدأ الاختلاف يهدف في معظم النصوص إلى إحدى الحالات التواصلية سواء من خلال الإجماع أو التنازع أو التراضي، فمن بين عناصر التفاعل إزدواجية سننية ميزت التفاعل التواصلى، والتي تعني إن كل طرف من أطراف العملية الحوارية يمتلك سنن خاصة به، فضلاً عن أن الكفايات ساعدت على وصف السلوك الحوارى في حالاته المتنامية أثناء العملية الحوارية وتفعيلها هو الذي يمكن من فهم العناصر المساهمة فيما يؤول إليه الحوار من تفاهم واختلاف بين أطرافه، وهذه الكفايات أخذت تظاهرات معينة في الكفاية اللسانية، وقد عكست هذه التظاهرات كفايات أطراف العملية الحوارية من جهة، وتضارب أهدافهم ومقاصدهم من جهة ثانية<sup>(٢)</sup>.

(١) حديث الصباح والمساء: ١٤٧ .

(٢) الحوار وخصائص التفاعل التواصلى، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية: ٢٥-٢٩ .

## النتائج

- ١- إن الربط بين خاصية التضمين والدلالة في النصوص المختلفة في رواية نجيب محفوظ يعد نوعاً من الكفاءة والقدرة الاستدلالية على أساس أن التضمين دليل على قدرة المتلقي على تحليل السياقات المختلفة وتأويلها.
- ٢- عندما يلجأ المتكلم أو الراوي في الرواية إلى خاصية التضمين من خلال التأويل والتلميح، يكون للجوئه أسباب تدفعه إلى أن يسلك سلوكاً تضمينياً في عرض أفكاره وطرق إيصالها للمتلقي.
- ٣- لقد لعب السياق اللغوي دوراً رئيساً في تأطير الدلالات المقصودة في نصوص الرواية وأسهم في رسم حدودها من خلال الكشف عن تلك الدلالات ومساعدة المتلقي لبلوغ الدلالات الخفية.
- ٤- أسهمت قانونية التفاعل التداولي بطرق متعددة إلى بيان العلاقة بين مستعملي اللغة من أجل تحقيق التواصل بين طرفي العملية الحوارية داخل الرواية وكان سعي الراوي منتجاً في ذلك.
- ٥- تضمنت نصوص الرواية مجموعة من المفاهيم التي تعد الأساس الذي يعتمد عليه في تحليل النصوص والوصول من خلالها إلى مقصدية المتكلم والكشف عن الرسالة التي يريد إيصالها للمتلقي، إذ إن توليد المعاني الضمنية ارتكزت بالدرجة الأساس على معطيات المقام داخل الرواية، فضلاً عن طبيعة التعالقات التخاطبية.
- ٦- استخدم نجيب محفوظ استراتيجيات متنوعة من التضمين والتلميح والتوجيه لنجاح عملية التواصل وسعى إلى انسجام تلك الاستراتيجيات مع السياقات التي وردت فيها، فضلاً عن الإكثار من أساليب الطلب في الحوارات المختلفة من مثل الاستفهام والأمر وغيرهما.

## ثبت المصادر

- ❖ استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، عبدالهادي بن ظافر الشهري: ٢٣، دار الكتاب الجديد، ٢٠٠٤.
- ❖ آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نطة: ٨٩، دار المعرفة-القاهرة، ٢٠٠٢.
- ❖ التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٤.
- ❖ تداولية الحوار في الخطاب القرآني (حوار أهل الكتاب أنموذجاً)، محمد زيان: ٥٥، أطروحة دكتوراه، جامعة محمد لمين دباغين، الجزائر، ٢٠١٨.
- ❖ تداولية الحوار في حديث عيسى بن هشام للمويلحي (حديث الاقتراء على الوطن أنموذجاً)، أمينة سعد جلال: ٢٨٩٧-٢٨٩٩، بحث منشور، مجلة المدونة، المجلد: ٨، العدد: ٣، سبتمبر ٢٠٢١.
- ❖ تداولية الحوار في حديث عيسى بن هشام للمويلحي (حديث الاقتراء على الوطن أنموذجاً): ٢٨٩٩.
- ❖ التداولية امتداد شرعي للسيميائية، عبدالحكيم سحالة: ٤٢١، جامعة بسكرة الجزائر، ٢٠٠٧م.
- ❖ التداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥.
- ❖ التداولية في البحث اللغوي والنقدي، بشرى البستاني، مؤسسة السياب للطباعة والنشر، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠٢١.
- ❖ تعديل القوة الإنجازية، دراسة في التحليل التداولي للخطاب، محمد العبد: ١٣٨-١٣٩، مجلة الفصول، العدد ٥، ٢٠٠٥.
- ❖ حديث الصباح والمساء، نجيب محفوظ، دار الشروق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦.
- ❖ الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، محمد نظيف: ٤٥، أفريقيا الشرق، الأردن، ٢٠١٠.
- ❖ الخطاب الروائي، ميخائيل باختين، ترجمة: محمد برادة، دار الفكر للدراسات، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٧.
- ❖ الخطاب اللساني العربي-هندسة التواصل الإضماري (من التجريد إلى التوليد)، بن عيسى عسو أزيبط عالم الكتب الحديث، الإصدار الأول، إريد-الأردن، ٢٠١٢.

- ❖ قوانين الخطاب في التواصل الخطابي، حمو الحاج ذهبية: ٢٢٢، بحث منشور.
- ❖ اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني، مرتضى جبار كاظم، دار ومكتبة عدنان، العراق-بغداد، ٢٠١٥.
- ❖ المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانغونو، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨.
- ❖ المعنى خارج النص (أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)، فاطمة الشيدي، دار نينوى، دمشق-سوريا، ٢٠١١.
- ❖ مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، هريبرت بركلي، ترجمة: قاسم مقداد، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.

## الملحق

(ملحق يتضمن النصوص التي تم الاستعانة بها في البحث )

رقم الصفحة	النص	ت
٤	"ولما شعر بأنه يمضي نحو النهاية قال لإبنه محمود: سأترك لك نصيحة هي أعلى من المال، اعتبر العزبة وطنك وهبها كل نقطة إخلاص في قلبك وحذار من الخطب والشعر"	١
٥	هل تعتقد حقاً أننا نستطيع تحمل أعباء الاستقلال؟ "	٢
٦	"قال سرور بمرارة: إنهم يضنون عليك بالذكور، فتألم عمرو ولكنه قال مستوحياً طبيعته المتواضعة: رحم الله امرأ عرف قدر نفسه، فقال سرور وهو يداري غضبه: أصبحت يا أخي درويشاً لا تغضب"	٣
٧	"أما أن يرغب ولد من آل داود في بنت من بنات عمرو أو سرور فانحراف خطير يجب أن يكبح بكل حزم، ودماثة أخلاق عمرو هونت عليه التسامح مع ذلك الموقف وتلمس الأعذار له، أما سرور فلم يعفه من لسانه الحاد الذي أبعد درجات عن قلوب آل المراكبي وآل داود جميعاً"	٤
٧	ووفق عامر في حياته المهنية توفيقه في حياته الزوجية، فكان من أحب المعلمين إلى تلاميذه وأعظمهم تأثيراً فيهم، ومن القلة التي تعيش ذكراها مع الأجيال التي تربيها حتى آخر العمر. وقد انتفع بذلك في زيادة إيراده بفضل الدروس الخصوصية، وفي تذليل كثير من الصعوبات بفضل ذوي النفوذ من تلاميذه السابقين"	٥
٨	"عبدالعظيم داود يزيد الابن الوحيد الذي بقى من ذرية داود باشا وسنية الوراق، نشأ في بيت السيدة وتلقى تربية رفيعة من أو هانم وأب يعتبر من الرجال المعدودين في عصره، ومنذ صغره خالط أهله في الحي العتيق، وأحب بصفة خاصة ابن عمه عمرو، ولكنه خالط أيضاً نوعاً آخر من البشر هم الأجانب من أقران أبيه الذين تناولوا عشاءهم على مائدته وتبادلوا الأناخاب"	٦
٨	"كان عمرو يشعر بدفء الرابطة بينه وبين عبدالعظيم عندما يزوره هذا في بيت القاضي، أما إذا ذهب عمرو إلى فيلا السرايات فتواتيه غربة في الجو الإفرنجي الذي يسود السلوك والعادات، من ذلك أن عبدالعظيم باشا كان يفتح شهيته عادة بكأسين من الويسكي، أو	٧

رقم الصفحة	النص	ت
	يخاطب كريمته فهيمة وعفت أحياناً بالفرنسية، وكان محمود عطا المراكبي يتودد إلى الباشا ويحب أن يوثق علاقته به رغم المنافسة الخفية بين الأُسرتين"	
٩	"ومازال وراءه حتى أخرجه من جنته فكان ماكان فبدأ الخصام الذي قسم الأسرة العريقة إلى جبهتين متعاديتين، فانكر الأخ أخاه والأخت أختها وأبناء العم والخالة أبناء عمهم وخالتهم، وتحدى عدنان عمه فبصق هذا على وجهه، وتبادل عدنان وحسن الضرب في حديقة السراي، فأظلت الأسرة غمامة سوداء مازالت تحجب النور والدفء عنها حتى تلاشت عند احتضار أحمد بك"	٨
٩	"وفي أثناء ذلك رجع داود من فرنسا طبيباً، ثم تزوج من حفيدة الوراق وأقام في بيت السيدة وأنجب عبدالعظيم، وعلم عزيز أفندي ابنه عمرو وسرور فتعين عمرو في نظارة المعارف كما تعين سرور في السكك الحديدية، وتزوجت رشوانة من صادق بركات تاجر الدقيق بالخرنفس وزفت إليه في بيته بين القصرين، وتزوج عمرو من راضية كبرى بنات الشيخ معاوية كما تزوج سرور من زينب النجار"	٩
١٠	ولكن لم ينعقد الخصام لحد القطيعة أو العداوة، وغلب دائماً هوى المودة القديمة الراسخة، أما ما بين الزوجين فقد مضى في عذوبة وسلام، وتسليم كلي من جانب عامر لإرادة محبوبته القوية فلم يرتفع له صوت غضب أكثر من مرات معدودات، ولم يبببنا أبداً على خصام، وقد أنجبت له شاكراً وقدرى وفايد، ولم تستطع أن تمد فوقهم مظلة سطوتها، فجرح شاكراً كبرياءها وحرك قدرى مخاوفها وإشفاقها، ولكن ثلاثتهم كانوا أمثلة طيبة للنجابة والنجاح	١٠
١٠	"وراح عطا يفكر بعقل مدبر لم يجد من قبل الفرصة المناسبة لاستغلال مواهبه. وشاور في أمره أهل الحق والعقد في تلك الشؤون من جيرانه الأغنياء واليهود المدربين"	١١
١٢	كانت تقيم في بيتها العتيق على الجانب المواجه لدار المراكبي فهل كان للقصة تمهيد قديم لم يظن إليه أحد؟ وقال القليوبي ليزيد: ستحدث أمور لا يمكن أن توافق هدى هانم على بقاء زوجها في	١٢



رقم الصفحة	النص	ت
	دكانه...والحق أن الثروة كشفت عن مواهبه الكامنة وقوة شخصيته، كما هتكت حرصه وشحه وجشعه اللانهائي إلى الثراء"	
١٢	وذات يوم قال لحكمت زوجته: لا أحب أن تبقي معي يوماً واحداً دون رغبة حقيقية..فتجهمت دقيقة ثم قالت: إني راضية تماماً والحمد لله..فالشك أخذ يساوره في مستقبل علاقته بزوجته، كما مضى يملك عليه تفكيره بالنسبة لمستقبل وطنه الذي يتزحزح من مأزق إلى مأزق"	١٣
١٣	"أول هدية من عالم الغيب تغمر قلبي عمرو وراضية بالفرحة والرضا والفخر، وتؤكد الحقيقة التي يؤمن بها ميدان بيت القاضي وهي أن ليس الذكر كالأنثى، وجاء مشرقاً بوجه مليح، يقنّبس ملاحظته من خير ما حظيت به راضية من استقامة الأنف وعلو الجبهة، وما ستعرف به سميرة فيما بعد من دقة القسمات وتناسقها، ومن أبيه أخذ هدوء الطبع والنقوى ونزعة القيادة والرعاية"	١٤
١٣	"قال الرجل وهو يهز رأسه الكبير: المجانين لا يعرفون الاستقلال، الاستقلال مسؤولية ضخمة، من أين لنا الإنفاق على الدفاع؟!..أليس الأفضل أن نترك ذلك للإنكليز ونتفرغ لإصلاح أحوالنا؟ فقال محمود بك برارة: صدقت، واستقلال زغلول خليق بأن يقود إلى ثورة عراقية"	١٥
١٣	"وبدأ يخرج عن خط الأسرة السياسي فلم يتشيع للملك كأبيه وعمه، ولكنه انضم إلى الجيل القلق الغاضب على الجميع والمتطلع إلى الجديد مثل قريبه حكيم حسين قابيل، واقتربت عليه أمه الزواج من آل الماوردي وهم أسرة إقطاعية، فتزوج، واستأجر لعروسه شقة أنيقة في الزمالك"	١٦
١٤	"غير أن ذلك الزواج لم ينجب ولم يوفق ولعل فائدته الوحيدة انحصرت في تعريفه بنفسه وأبعادها، تبين له أنه رغم يسره لا يطبق الإنفاق ويتألم لبذل قرش واحد في غير موضعه ودون حساب وتخطيط، وكانت جولستان من محبات البذخ والحياة الاجتماعية والتباهي بكافة جماليات المظاهر المبهرة، فعجز كل طرف عن النزوع عن شيء من تقاليد وعاداته، فارتطما في عنف جعل من حياتهما جحيماً لا يطاق، وقالت له الفتاة بصراحة: لم نخلق لحياة مشتركة، فقال لها: أوافق على ذلك دون قيد أو شرط"	١٧

رقم الصفحة	النص	ت
١٤	"لم يكن يحزنه في تلك الأيام السعيدة سوى عثرة أخيه وتضاعف حزنه حين تقرر إرساله إلى فرنسا، وسأل صديقه الشيخ معاوية الذي حل محل أبيه في الأزهر بعد تقاعد الرجل لكبره: مانذب داود ياشيخ معاوية؟ فأجاب الشاب: ليس كل علوم الكفار بكفر ولا الإقامة في بلاد الكفار وليحفظه الله، ودخل عزيز في فرن المراهقة، وتسلسل إليه رغم تقواه الخطأ فقال يزيد لفرجة: علينا أن نزوجه.. فقالت فرجة: نعمة بنت صديقك عطا مليحة ومناسبة.. وزفت إليه البنات في بيت أبيه بالغورية"	١٨
١٥	"وقامت ثورة يوليو وتعاقبت الهزائم ثم هلّ النصر والسلام وتجمعت سحب الفتن والجريمة، وهي لائحة بحصن المتفرج لايعنيها شيء إلاّ بقدر أثره المباشر على أسرتها أو أبنائها، وتقدم بها العمر وهذأت نوازح كبرياتها ونعمت رغم جريان الأحداث برفقة حبيب العمر والأبناء والأحفاد، حتى غاب عامر عن دنياها في غمضة عين وهو يحدثها، ومن ثم استقبلت حياة صامتة تعلوها كآبة دائمة.."	١٩
١٥	"ولم تغز وجدانه من مدخل وطني لكن من زاوية أملاكه وأمواله، فلما سعدت موجتها حتى ظن لها النصر المبين أعلن تأييده لها، وتبرع بشيء من المال طاوياً آلامه في صدره، ولما تكالبت عليها القوى المعادية ولاح فشلها في الأفق أعلن ولاءه للخديوي، وجاء عصر الاحتلال البريطاني فساوره القلق مرة أخرى من تلك الأحداث التي لايدري ماعقباها على أرضه، وقال له نسيبه بكري العرشي: لن يغادر الإنكليز هذا القطر ولن نخرج ماحيينا من الإمبراطورية البريطانية"	٢٠